﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: 1 - 3]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

هزيمةٌ تَحْزُنُ وتَضُرُّ، وبشرى بانتصارٍ يُفْرِحُ ويَسُرُّ

بعد أنْ أكَّد النّظمُ الكريمُ في ختام (سورة العنكبوت) هدايةَ الله تعالى للمجاهدين، وعونَه وتوفيقَه للمحسنينَ المؤمنين، تأتي هذه الآياتُ لتتحدَّثَ عن طائفة (الروم) التي يُفَضِّلُها المؤمنون على الفُرس، ويأملُ النصرَ لها المجاهدون، ولكنَّهم تعرّضوا للهزيمةِ من أعدائهم، فحزِن لذلك المؤمنونَ وابتهج له الكافرونَ، فأراد الله تعالى تعجيلَ البُشرى بفوزِهم وغَلبِهم لعدوِّهم في بضع سنينَ؛ إسعادًا وفرحًا للمؤمنينَ، وحَسرةً وحُزنًا للكافرين المشركين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿غُلِبَتِ﴾: (غلب) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ وقَهْرٍ وشِدَّةٍ؛ مِنْ ذَلِكَ: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وغَلَبًا وغَلَبَةً[1]، قالَ تَعالَى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، مِن قولهم: غلَبَني فلانٌ على كذا، إذا أخذَه وامتلكَه، وسائرُ ما في القرآن من التركيبِ هو من الغَلَب بمعنى: القَهْر[2].

2) ﴿ٱلرُّومُ﴾: أمّة كبيرة، من ولدِ رومي بنِ يونان بنِ علجانَ بنِ يافثِ بنِ نوحٍ عليه السلام، وهذا الاسمُ غلبَ في كلام العربِ على أمّةٍ مُختلطةٍ من اليونان والصَّقالبةِ ومن الرّومانيّينَ الَّذين أصلُهم من اللاتينيّين سُكّانِ إيطاليا، نزحوا إلى أطرافِ شرقِ أوربا، تقوَّمت هذه الأمّةُ المسمّاة (الروم) على هذا المزيج، فجاءت منها مملكةٌ تحتلُّ قطعةً من أوروبا وقطعةً من آسيا الصُّغرى وهي بلادُ الأناضول، وقد أطلقَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غلب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غلب).

العربُ على مجموع هذه الأمَّةِ اسمَ (الروم)؛ تفرقةً بينهم وبينَ الرّومان اللاتينيّين، وسُمّوا (الروم) أيضًا بـ(بني الأصفر) كما جاءَ في حديث أبي سفيانَ عن كتابِ النبيِّ ﷺ المبعوثِ إلى هِرَقْلَ سُلطانِ الرّوم وهو في حمصٍ من بلادِ الشّام[1].

3) ﴿أَدْنَى﴾: (دني) أصْلٌ واحِدٌ يُقاسُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وهوَ المُقارَبَةُ؛ ومِنْ ذَلِكَ الدَّنيُّ، وهوَ القَريبُ، الدّنوّ: القربُ بالذّات، أوْ بالحُكم، ويستعملُ في المكان والزّمان والمنزلة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ﴾ [الأنعام: 99]، وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: 8]، والمعنى المرادُ: أقربُ بلادِ الرّوم إلى بلادِ العرَب.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إعجازٌ في التعبير بالحروف وإعجازٌ في الإخبار بالغيب

تبدأ الآياتُ بما يُلفت الأنظارَ إلى ما في القرآنِ الكريم من أوجُهِ الإعجاز التي لا حصرَ لها، ولا يُحيطُ أحدٌ بها، من خلال ذكرِ الحروفِ المُقَطّعة، التي حارَ العلماء في تفسيرها، وعجزَ أربابُ الفصاحةِ والبلاغة عن الإتيانِ بمثلها.

وقد صار للرّوم وقعةٌ معَ فارسَ على عهدِ رسولِ الله صلَّى الله تعالى عليه وسلم، فغَلَبَتْها فارسُ وقهَرَتْها[2]، وكان المشركونَ يُحبِّون أنْ تظهرَ فارسُ على الرَّوم؛ لأنَّهم مشركونَ مثلُهم، وكانَ المسلمونَ يُحبّونَ أنْ تظهرَ الرومُ على فارسَ، لأنَّهم أهلُ كتاب، وهم أقربُ إلى دينِهم[3].

فأتت الآياتُ بوجهٍ جديدٍ من أوجُه إعجازِ القرآن، التي لا تنقطعُ ولا تنتهي، فتتحدّثُ عن بعض الأمورِ الغيبيَّة، التي لا يُحيطُ بها إلا اللّه، ولا يتضمَّنها كتابٌ إلّا إذا كان وحيًا من عند الله، ومنها فوزُ

(1) البخاري، صحيح البخاري، برقم: (2978).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 19.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 8، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 65.

الرّوم وانتصارُهم على الفرس في أقلَّ من عشرةِ أعوام، ليفرحَ المؤمنونَ بذلك النّصْرِ العظيم، ويتأكدَ لدى الجميع صدقُ ما أُنْزِل إلى الرَّسول ﷺ وإعجازُه.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الحروفِ المقطّعةِ على الإعجاز:

العجزُ عن الإتيان بمثلِ تراكيبِ القرآن المَبْنيّة من لغةِ العرب

يُعدُّ تعبيرُ القرآن الكريم بالحروف المقطَّعة وجهًا من أوجُهِ إعجازه، ودليلًا دامغًا على أنّه وحيٌ من عند الله جلّ في علاه، لأنّه لو كانَ من عند الرَّسول فسَّرَ لنا هذه الحروفَ، وبيّن معانيَها والمرادَ من التعبير بها، والثابتُ أنَّ الرّسولَ والصَّحابَةَ الكرامَ لم يتعرَّضوا لتفسيرها، ولَم يَسألوا عن مضامينِها، وآمنوا بها كما هي، وممّا يُمكنُ قولُه في شأنِ افتتاحِ بعضِ سورِ القرآنِ بها، أنَّ اللغة التي يتحدَّثُ بها العربُ تتكوّن من هذه الحروف، وأنّ كلماتِ القرآنِ وجُمَلَه وآياته وسورَه تتركّب منها، شأنُ تراكيبِ العرب وجملِهم، وأنَّ التحدّيَ حصلَ بأن يأتوا بمثلِ التراكيب المَبْنيَّة من هذه الحروف، ومع ذلك عجَزوا عن أنْ يأتوا بمثلِ سورةٍ من سوَره، أوْ بمثل آيةٍ من آياته، وإذا عجزَ مَنْ بلغوا القمّةَ في البلاغة والبيان عن فعلِ ذلك فإنّ مَن دونهم يكونُ أعجزَ، فدَلَّ عجزُ العربِ عن الإتيان بمثلِه – مع أنَّهم أفصحُ الناس – على أنَّ القرآن وحيٌ من الله تعالى.

نكتة فصل الآية عما قبلها:

بيانُ وجهٍ ثانٍ من وجوهِ إعجازِ القرآنِ الكريم

جاءَ قولُه تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ مَفصولًا عمّا قبله؛ لشبهِ كمالِ الاتصال، إذ إنَّ التعبير بالحروفِ المقطَّعة يثيرُ المتلقّي ويُحرّكه ليسألَ، ويقول: ماذا بعد ﴿الٓمٓ﴾؟ فيأتي قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ليجيبَ عن هذا السُّؤال، ببيان أنَّه سيتحدَّث عن هزيمة الرّوم، وانتصارِهم في المستقبلِ القريب، وغيرِ ذلك من موضوعاتِ السّورة.

ويمكنُ أنْ يكون الفصلُ لكمال الاتّصال، الذي تُنزَّلُ فيه الجملةُ

الثانيةُ من الأولى منزلةَ التّابعِ من المتبوع، ذلك أنَّ جملة: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وما بعدَها تؤكّدُ ما في قولِه: ﴿الٓمٓ﴾ من إعجازٍ، بذكرِها وجهًا ثانيًا من أوجُه إعجازِ القرآن التي لا تُحصى ولا تُعَدُّ، وهو وجهٌ يختلفُ عن المذكور في: ﴿الٓمٓ﴾، لكنَّه يتعانقُ معه في إثبات أنَّ هذا القرآنَ مُنَزَّلٌ من عند اللّه تعالى على رسولِه ﷺ، وهذا الوجهُ هو الإخبارُ بأمورٍ ستحصلُ في المستقبل، ومنها انتصارُ الرّوم على الفرس في أقلَّ من عشرِ سنين.

دلالةُ التعبير بالماضي ﴿غُلِبَتِ﴾ مادّةً وصيغةً:

هزيمةُ الروم أحدثتْ أثرًا كبيرًا في نفوسِ المسلمين

تعبيرُ البيانِ الكريم عن هزيمةِ الروم بالفعل الماضي: ﴿غُلِبَتِ﴾ الدالِّ بمادّته على الغلبةِ والقهر، يشيرُ إلى أنَّ الهزيمة كانت كبيرةً قاسيةً، وأنَّها أحدثتْ أثرًا شديدًا في نفوسِ المسلمين، لأنَّهم كانوا يَوَدّون انتصارَ الروم لكونهم أهلَ كتاب سماويّ، بينما كان المشركونَ يُحبّون انتصارَ الفرس؛ لأنّهم مشركونَ مثلُهم في اتّخاذِ الأوثانِ والأحجار والنّيران معبودًا من دون اللّه تعالى، كما دلّتِ الصّيغة على أنَّ الغلبةَ قد تحقّقت وتأكّدَتْ؛ إذ الماضي يدلُّ على الوقوع والحصول، وفي غلبةِ القوّة العظيمة إشارةٌ إلى أنَّ الأيّامَ دوَلٌ، وأنَّ الغلبة والهزيمة أمرانِ يقعانِ على سبيل الحدوثِ لحِكَم ومصالحَ لا يحيطُ بها إلا اللّه تعالى.

فائدة الخبر في ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾:

ذِكرُ ما حصل تمهيدًا للإخبار بما سيحصل

قولُه تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ خَبَرٌ مُسْتَعْمَلٌ في لازمِ فائدَتِه عَلَى طَريقِ الكِنايَةِ، أيْ: نَحْنُ نَعْلَمُ بِأنَّ الرّومَ غُلِبَتْ، فلا يَهْنِكُمْ ذَلِكَ ولا تَطاوَلوا بِهِ عَلَى رَسولِنا وأوْلِيائِنا، فإنّا نَعْلَمُ أنَّهُمْ سَيَغْلِبونَ مَنْ غَلَبوهُمْ بَعْدَ بِضْعِ سِنينَ، بِحَيْثُ لا يُعَدُّ الغَلَبُ في مِثْلِه غَلَبًا، فالمَقْصودُ مِنَ الكَلامِ هوَ جُمْلَةُ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾، وكانَ ما قَبْلَهُ تَمْهيدًا لَهُ[1].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 42.

دلالةُ إسناد الفعل للمجهول:

المجوسُ لا يستحقّون شرفَ الذِّكر في كتاب الله المجيد

أُسند الفعْل: ﴿غُلِبَتِ﴾ للْمَجْهولِ؛ لِأنَّ الغَرَضَ هوَ الحَديثُ عن المَغْلوبِ لا عَن الغالِبِ، ولِأنَّهُ قَدْ عُرِفَ أنَّ الَّذينَ غَلَبوا الرّومَ هُمُ الفُرْسُ[1]، ما يعني انعدامَ الفائدة المترتّبة على ذكرِ الفاعل، يُضاف إلى ذلك أنّ المجوسَ لا يستحقّون شرفَ الذكرِ في كتاب اللّه المجيد، و"أخفى الفاعلَ لسببين؛ **السببُ الأوّل**: إهانةٌ للفرس، وأنهم ليسوا أهلًا للذِّكْر، **والثاني**: تهوينٌ للأمرِ على الرّوم؛ لأنّه إذا قيل للإنسان: أنتَ غُلِبْتَ، أهونُ ممّا إذا قال: غلبكَ فلانٌ؛ لأنّه إذا قال: غلبَك فلان، صار معناه: أنّه ذليلٌ لهذا الرجلِ المذكور"[2].

علّةُ التأنيث في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾:

ضعفُ الالتزامِ بالوحيِ وضعفُ الاستعدادِ سَببا الهزيمةِ المؤكّدة

إلحاقُ علامةِ التأنيث بالفعل في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ فيه دلالةٌ على أنّ الرومَ كان بهم من ضعفِ الالتزامِ بالوحيِ الخاصِّ بهم، وكان بهم مِنْ ضعفِ الدّولة، وضعفِ الاستعداد للحرب ما كان سببًا في حصول الهزيمة لهم، وذلك أنَّ ﴿ٱلرُّومُ﴾ اسمُ جنسٍ جمعيٌّ، يجوز له تذكيرُ الفعل وتأنيثُه، واختيارُ التأنيث بمعنى (جماعة الروم) يشيرُ إلى أنَّهم جماعةٌ لا جمعٌ، فيُعطي معنى الضَّعفِ والهوان.

معنى التعريف في قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾:

(أل) في ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ هي العهديّة، التي تَدُلُّ على أنّ المرادَ بهم: الرومُ المعروفونَ للعربِ والمسلمينَ بأنَهم أهلُ كتاب، وإنْ كانوا مُفَرّطينَ في العمل بما أُنزل إليهم، إلا أنّهم أقربُ للمسلمينَ من المجوس، الذين ليس لهم كتابٌ ولا شريعةٌ.

الإعجاز الغيبيّ في الآية:

الإخبارُ بالأمور التي تحدُث في المُستقبل ممّا تَفَرّدَ به القرآنُ

وفي الآيات نوعٌ من الإعجاز يُضاف إلى الإعجاز البيانيِّ وإعجازِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 42.
(2) ابن عثيمين، تفسير القرآن: 1/ 14.

الحروف المقطّعة، وهو الإخبارُ بالأمور الغيبيّة التي تحدُثُ في مستقبل الأيّام، وهو ممّا تَفَرّد به القرآنُ الكريمُ، حيثُ أخبرتِ الآياتُ بأنّ الرومَ سيَغْلِبونَ الفرسَ في بضعِ سنين، وهو لفظٌ يُطلقُ على العددِ من ثلاثٍ إلى تسعِ سنوات في لغةِ العرب، وقد حدثَ بعدَ نزولِ هذه الآية أنْ راهنَ المشركونَ أبا بكر الصّدّيق رضي الله عنه على حدوثِ ذلك إلى أنْ تمَّ انتصارُ الروم على الفرسِ في العام السّابع من نزولها، وكان غلبُ الروم على الفرس في سلطنةِ هرقلَ قيصرِ الرّوم، وبإثره جاء هرقلُ إلى بلادِ الشّام ونزل حمصَ، ولقي أبا سفيانَ بنِ حرب في رَهْطٍ من أهل مكّةَ جاؤوا تُجّارًا إلى الشّام[1].

دلالةُ الظرفيّة في ﴿أَدْنَى﴾:

الفارسيّونَ أحاطوا بالرّوم على هذه الأرضِ إحاطةَ الظّرفِ بالمظروف

أفادَ حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ من قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى﴾ الظَّرْفيَّةَ، وهو يدلُّ على أنَّ المكانَ الذي غُلبت فيه الرّومُ هو أقربُ أرضِ الرّوم للعرب، والتعبيرُ به يشيرُ إلى أنّ الفارسيّينَ قد أجهزوا عليهم في هذه الأرضِ، وأحاطوا بهم عليها إحاطةَ الظّرف بالمظروف، بحيث لم يتركوا لهم فرصةً للخروج منها، أوِ الهرب إلى غيرها، وأفادَ تحديدُ مكانِ الهزيمة تفاعُلًا أكبرَ مع الحدث، إذ بدأتْ معالمُ الغلَبة تتكشّفُ وتتحدّدُ في بقعة جغرافيَّةٍ، تُسهم في تصويرِ الحدث تصويرًا دقيقًا يؤدّي إلى تفاعلٍ معه وإصغاءٍ له.

دلالة التّعبير باسمِ التفضيل:

العربُ من أوائلِ مَن سمِعوا خبرَ هذه الهزيمة

استعملَ النظم اسمَ التفضيل مضافًا في قوله تعالى: ﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ومعناه: أرضُ الروم الأكثر قربًا إلى أرض العرب من غيرها من بلاد الروم الأخرى، وهي بلادُ الشام التي كانت تابعةً وقتَ الهزيمة للرّوم[2]، ما يعني: أنّ العربَ من المسلمين والمشركينَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 45.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 43.

مِنْ أوائل مَنْ سمعوا خبر هذه المعركة، وانحازَ كلٌّ منهم إلى مَنْ يناصرُ، إذ حزنَ المسلمونَ لهزيمة الروم، لما سبقَ ذكرُه من أنّهم أهلُ كتاب، بينما فرح المشركونَ لانتصارِ الفرس؛ لأنّهم مشركون مثلُهم، إذ كانوا يعبدونَ النار من دونِ الله تعالى.

معنى التعريف في قوله: ﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾:

التعريفُ في الأرْضِ لِلْعَهْدِ، أيْ: أرْضِ الرّومِ المُتَحَدَّثِ عَنْهُمْ، أوِ اللّامُ عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إلَيْهِ، أيْ: في أدْنَى أرْضِهِمْ، أوْ أدْنَى أرْضِ اللَّهِ، وحُذِفَ مُتَعَلَّقُ أدْنَى لِظُهورِ أنَّ تَقْديرَهُ: مِنْ أرْضِكُمْ، أيْ: أقْرَبِ بِلادِ الرّومِ مِنْ أرْضِ العَرَبِ، فإنَّ بِلادَ الشّامِ تابِعَةٌ يَوْمَئِذٍ لِلرّومِ، وهيَ أقْرَبُ مَمْلَكَةٍ للروم مِنْ بِلادِ العَرَبِ[1]، وفي ذلك التحديدِ بيانٌ لكون الهزيمةِ التي حلَّت بالروم لم تكن هزيمةً لكلّ الممالك الروميّة الأخرى، وإنما لواحدةٍ منها.

فائدة التقييد بالجار والمجرور:

قَيَّدَ النَّظْمُ الكريمُ الفعلَ: ﴿غُلِبَتِ﴾ بـ: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ لِبَيانِ شِدَّةِ ضَعْفِهِمْ، أي: انْتَهَى ضَعْفُهُمْ إلَى أنْ وصَلَ عَدوُّهُمْ إلَى طَريقِ الحِجازِ، وكَسَروهُمْ وهُمْ في بِلادِهِمْ، ثُمَّ غَلَبوا حَتَّى وصَلوا إلَى المَدائِنِ، وبَنَوْا هُناكَ الرّوميَّةَ، لِبَيانِ أنَّ هَذِهِ الغَلَبَةَ العَظيمَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّعْفِ العَظيمِ بِإذْنِ اللَّهِ[2]، وفيه أيضًا تقويةٌ لِعِلم الله تعالى وإحاطتِه بالمعركة، وتأكيدُ أنَّ الغرضَ من وراء الإخبار بذلك هو التخفيفُ مِنْ ألم المسلمين، المحزونينَ بسبب هزيمةِ الروم، وتعجيلِ البشارة بانتصار الروم على الفرس في المستقبل، والتلميحِ لهم بأنّ الأيامَ دولٌ، وأنّ مغلوبَ اليومَ قد يصير مُنتصرًا في الغد، وأنّ المسلمينَ ليسوا بمنأى عن تحقيقِ الانتصارات، وهو

بيانُ شدّة ضعفِ الروم، وفظاعةِ هزيمتِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 43.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 80.

ما صرّح به النَّظْمُ بعدئِذٍ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾.

دلالةُ الوصل في ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ﴾:

(الواو) في جملة: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ﴾ لعطفِ ما بعدَها - من الوعد بانتصارِ الرّوم - على قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾، عطفَ الاسميّة على الفعليَّة؛ للدلالة على أنَّ الغلبةَ للفرس مؤقّتةٌ ومحدودةٌ، وأمّا غلبةُ الرّوم عليهم فثابتةٌ دائمةٌ، وهذا العدولُ إلى الاسميّة زيادةُ تطمينٍ للمسلمينَ بوقوعِ النَّصر للرّوم، وضمائرُ الجمع المرفوعةُ والمجرورةُ فيه عائدةٌ كلُّها إلى الرّوم.

معنى ﴿مِّنۢ﴾:

تأكيدُ انتصارِ الرّوم على الفرسِ في المستقبل

﴿مِّنۢ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ هي الابتدائيّة، الموضّحةُ بدايةَ المُدّةِ الزمنيّة التي سيحصلُ فيها انتصارُ الروم على الفرس في مستقبلِ الزمان، وفي التعبير بها نوعٌ من التأكيد الدالِّ على حصول هذا الانتصار الوشيكِ من غير شكٍّ أوْ رَيب، ولذا لم يقل: (سيَغلبون بعدَ غلَبهم)، بل ذكرَ ﴿مِّنۢ﴾ لتحديدِ بدايةِ الغلب التي تكونُ بعدَ انهزامِهم المباشر إشارةً إلى أنَّ غلبتَهم لهم وشيكةٌ.

فائدةُ التّعبيرِ بالظّرف:

إظهارُ قدرةِ الله تعالى وبيانُ أنَّ هزيمةَ الفرس تحصلُ بأمرِه

عبَّر البيانُ الكريمُ بقوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ مَعَ أنَّ قَوْلَهُ: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ لا يَكونُ إلّا مِنْ بَعْدِ الغَلَبَةِ؛ لإظْهارِ قُدْرَةِ اللّه تعالى وبَيانِ أنَّ ذَلِكَ يحصلُ بأمْرِه، لأنَّ مَنْ غَلَبَ بَعْدَ غَلَبِهِ لا يَكونُ إلّا ضَعيفًا، فلَوْ كانَت غَلَبَتُهُمْ لِشَوْكَتِهِمْ كانَ الواجِبُ أنْ يَغْلِبوا قَبْلَ غلبهم، فإذا غَلَبوا بعدَ ما غُلِبوا، دَلَّ عَلَى أنَّ ذَلِكَ بِأمْرِ اللَّهِ، فذَكَرَ ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾، لِيَتَفَكَّروا في ضَعْفِهِمْ، ويَتَذَكَّروا أنَّهُ لَيْسَ بِزَحْفِهِمْ، وإنَّما ذَلِكَ بِأمْرِ اللَّهِ تَعالَى[1]، يقول ابن عاشور: "وَفائِدَةُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 80.

ذِكْرِ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ التَّنْبيهُ عَلَى عِظَمِ تِلْكَ الهَزيمَةِ عَلَيْهِمْ، وأنَّها بِحَيْثُ لا يُظَنُّ نَصْرٌ لَهُمْ بَعْدَها، فابْتَهَجَ بِذَلِكَ المُشْرِكونَ، فالوَعْدُ بِأنَّهُمْ سَيَغْلِبونَ بَعْدَ ذَلِكَ الانْهِزامِ في أمَدٍ غَيْرِ طَويلٍ تَحَدٍّ تحدَّى به القُرْآنُ المُشْرِكينَ، ودَليلٌ عَلَى أنَّ اللَّه قَدَّرَ لَهُمُ الغَلَبَ عَلَى الفُرْسِ تَقْديرًا خارِقًا للْعادَةِ مُعْجِزَةً لنبيِّه ﷺ وكَرامَةً لِلْمُسْلِمينَ"[1].

نكتة الإضافة في قوله: ﴿غَلَبِهِمۡ﴾:

تأكيدُ حصولِ هزيمةِ الرّوم بسببِ ضعفِ الإيمان وضعفِ الاستعدادِ

في إضافةِ (الغلَب) إلى ضمير الرّوم المجرور في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ تأكيدٌ لحصولِ هزيمةِ الرّوم بسببِ ضعف إيمانِهم وضعف استعداداتِهم، وبيانِ أنّ الضعف كان ملازمًا لهم، ملازمةَ المضافِ للمضاف إليه، وأنَّ ما سيحصلُ لهم من نصرٍ في المستقبل يكون بعون اللّه وتوفيقِه، ولا يخفى ما فيه من تأنيسِ المؤمنين وتبشيرِهم بنصرِ القريبينَ منهم، بعدَ ما بلغ بهم الضَّعفُ ما بلغ، والتلميحِ بأنّ ذلك يمكنُ حصولُه لهم أيضًا، كما سبقَ ذكره، والغلَبُ هنا مصدرٌ بمعنى المفعول، أي: من بعد مغلوبيّتِهم، وإنَّما عبَّر بالمصدر الدالِّ على الحقيقة؛ للدلالة على أنَّ غلبتَهم كانت قويّةً وشديدة.

نكتةُ حرفِ التّنفيس:

انتصارُ الرّوم على الفرس قريبٌ، ومُؤذنٌ بتعدُّد وجوه إعجازِ القرآن

السرُّ في التعبير بفعلِ الغَلَب المبنيِّ للمعلوم مسبوقًا بـ(السين) في قوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ التي هي حرفُ استقبالٍ للقريبِ من الزَّمان[2]، هي الدلالةُ على أنّ انتصارَ الروم على الفرس يحصل في المستقبلِ القريب، ويشهدُه كثيرٌ ممَّن شَهِدوا انتصارَ الفرس على الروم، ليُقِرّوا ويتأكَّدوا بأنّ القرآنَ وحيٌ مِنْ عند اللّه تعالى، وأنّ وُجوهَ إعجازِه متعدِّدةٌ ومتنوِّعةٌ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 44.
(2) المرادي، الجنى الداني، ص: 60.

دلالةُ التّعبير بالمضارع وحذفِ مفعوله:

تمامُ المِنّةِ على المسلمينَ غلبةُ أهلِ الكتاب على المشركين

عبّر النّظمُ الكريمُ بالفعل المضارع في قوله: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾؛ لحصوله في المستقبل، وحُذِفَ مَفْعولُه لِلْعِلْم بِأَنَّ تَقْديرَهُ: سَيَغْلِبونَ الَّذينَ غَلَبوهُمْ، أي: الفُرْسَ، إذْ لا يُتَوَهَّمُ أنَّ المُرادَ: سَيَغْلِبونَ قَوْمًا آخَرينَ؛ لِأَنَّ غَلَبَهُمْ عَلَى قَوْمٍ آخَرينَ وإنْ كانَ يَرْفَعُ مِنْ شَأْنِهِمْ، ويَدْفَعُ عَنْهُمْ مَعَرَّةَ غَلَبِ الفُرْسِ إيّاهُمْ، لَكِنِ القِصَّةُ تُبَيِّنُ المُرادَ، ولِأَنَّ تَمامَ المِنَّةِ عَلَى المُسْلِمينَ أنْ يَغْلِبَ الرّومُ الفُرْسَ الَّذينَ ابْتَهَجَ المُشْرِكونَ بِغَلَبِهِمْ، وشَمِتوا لِأَجْلِهِ بِالمُسْلِمينَ[1].

توالي الأحداث المتّفقةِ مادّة ومعنىً:

التشويقُ للإخبار بانتصارِ الروم على الفرس

توالتْ في النّظم القرآني المادّةُ (غ، ل، ب) في ثلاثةِ ألفاظ، اثنانِ منها فعلانِ، وواحدٌ منها مصدرٌ، وهي: ﴿غُلِبَتِ﴾ و﴿غَلَبِهِمۡ﴾ و﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ حيثُ اتّفقتْ هذه الكلماتُ في (الغين واللام والباء) وفي المعنى؛ لأنها جميعًا دالّةٌ على النّصر والظَّفَر، وفي تكرارها ما يدلّ على أنَّ الرومَ يحصل منهم للفرس مثلَ ما حصل من الفرس لهم، بمشيئة الله تعالى وإرادته، بجانبِ ما للتَّجانُس بينها من أثرٍ في تشويق المتلقّي، وتنشيطِ فكره لترقُّب ما يُخبر به القرآنُ عمّا سيحدثُ للروم بعد الإخبارِ بهزيمتهم في ﴿غُلِبَتِ﴾ و﴿غَلَبِهِمۡ﴾، فإذا وردَ قوله: ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ بما زيدَ عليه من حروفٍ؛ تأكّدَ لديه حصولُ انتصارِ الروم في قابل الزمان، وفَرِحَ لذلك وسُرَّ، وثبتَ المعنى في ذهنه، وتأكّد وُقوعُه في عقله.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأوّل يدلُّ على نتيجة نهائية، والثاني يدلُّ على إنكسار في ساحة المواجهة

(غُلِبتْ) و(هُزِمت):

في الغلَبةِ والمغلوبيَّة تأشيرُ النتيجةِ النهائيّة للنزال الدالِّ على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 44.

أنَّ المعركةَ حُسِمت وظهر أحدُ الجيشينِ على الآخر، وأمّا الهزيمة فتدلُّ على انكسارٍ في الجيش ونتيجةٍ أوليّةٍ للمعركة؛ إذ ربَّما يعقبُها غلبةُ المهزوم.

الرّوم والنَصارى:

الرومُ: اسمُ سلالةٍ لرجلٍ اسمه: رومُ بن عيص، من سُلالةِ العيص بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليه السلام، ويقال لهم: بنو الأصفر، وهم أبناءُ عمّ بني إسرائيل، وكانوا على دينِ اليونان، ثمَّ اعترفوا بالمسيحيَّة وآمنوا بعيسى عليه السلام، وصاروا من أهل الكتاب قبلَ بعثةِ سيِّدنا محمَّد ﷺ.

أمّا النَّصارى فهم أتباعُ الدّين المنزَّل من الله تعالى على عيسى عليه السلام، وكتابُهم الإنجيل، ويقال لهم النَّصارى نسبةً إلى بلدة النّاصرة في فلسطين، وهي التي وُلد فيها المسيحُ فنُسبوا إليها، أوْ إشارةً إلى صفة، وهي نصرُهم لعيسى عليه السلام، وتناصُرُهم فيما بينهم، وهذا يخصُّ المؤمنين في أوَّل الأمر، ثمَّ أُطلق عليهم كلِّهم على وجه التغليب، قال تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ﴾ [الصف: 14][1]، والفرقُ بينهما أنَّ الأوّلَ ملحوظٌ فيه النّسبُ الأبويُّ، والآخرَ النَّسبُ الدينيّ.

(1) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: 1/ 109، والشهرستاني، الملل والنحل: 1/ 275.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»